«حمدان» المترفع المتكاسل الذي ترك شؤون إمارته تسير كيفما اتفق، حتى فسدت أحلاق الرعية، وتفشت السرقة، وانتشر داء الإهمال والتداعي والتواكل.

قابلت الأميرة «شمس» وخطيبها رحلين في برية يحفيان مالاً كانا قد سرقاه من حزبة الأمير «حمدان» فقضا عليهما ونزعاه منهما، وحاولا أن يقنعاهما بأن الواجب يقتضي أن يذهما إلى قصر الأمير ليعاقبهما، فغافلاهما وفرا، ولكنهما عادا فسلما نفسيهما إلى الأمير بمحض اختيارهما، بعد أن اقتنعا بأهمية العمل وبأفكار الأميرة وقمر.

وتأخذ الأميرة وخطيبها المال المختلس إلى الأمير «حمدان» فيمدح نزاهتهما ولكنه لايبدي أسفه على اختلاس هذا المال، معتقداً أنه سوف ينفق في إمارته ويعود إلى الخزينة عن طريق التجارة والمكوس، والضرائب. ويؤمن تاج الأمير على هذه الفكرة، ولكن «شمس النهار» ترفضها، لأنها تفسد الأخلاق:

«الأمير : في الواقع.. خزائني لن تخسر شيئاً في آخر الأمر.. إنهم فعلاً لن يأكلوا الدنانير.. ومادام لا أحد يأكل الدنانير.. ومادامت كلها ستنفق..

التابع : فكلها إذن ستدخل جيبك..

الأمير : هذا مؤكد..

التابع . لاحسبارة إذن في شيء.

شمس : في الأحلاق...[17]».

ويعجب الأمير «حمدان» برجاحة عقل «شمس النهار» فيعرض عليها أن تكون خادمة له في قصره، فترفض، وتعلمه كيف يخدم نفسه بنفسه، وكيف يكتشف السعادة النابعة من العمل، فيترك هو الآخر قصره، وينضم إليها وإلى خطيبها.

وفي نهاية المسرحية نرى الأميرة قد صارت تشعر بأنها تحمل رسالة يجب